فوائد الوحدانية
للذات الإيمانية

الدكتور

قتيبة سعد الله محمد البياتي

التَّدْرِيْسِيُ فِي كُلِّيَّةِ الإِمَامِ الأَعْظَمِ رَحِمَهُ اللهُ الجَامِعَةِ

قسم أصول الدين

المقدمة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَبَعْدُ :

فمما لا شك فيه أن كل باحث يحول أن يقدم في بحثه ما هو جديد أو مفيد، بإضافة شيءٍ إلى ما كتبه المتقدمون لما يرى أنه بحاجة إلى زيادة بيان وإيضاح، وبعض المواضيع إذا ما دققنا فيها النظر، نرى فيها زاوية من الزوايا، يستطيع أن يدخل الباحث من خلالها، وهو ما رأيته في موضوع الوحدانية، وذلك في بحثي الموسوم (فوائد الوحدانية للذات الإيمانية).

وتظهر أهمية هذا البحث لما فيه من تعزيز قضية توحيد الخالق في نفوس العباد، حيث أن الاستئناس بمعرفة فوائد صفة الوحدانية تؤدي إلى الترقي في درجات الإيمان حتماً، فيكون بذلك أثبت وأقوى، وهو نظير لما دعا به أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، عند إرادته الاطلاع على كيفية إحياء الله عز وجل الموتى، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]، يقول الإمام النسفي: ((وبلى : إيجابا لما بعد النفي معناه بلى آمنت، ولكن لأزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة))[2].

كما أن الإنسان بعد هذه المعرفة يتوجه إلى عبادة ربه الواحد الأحد بخضوع تام وانقياد مطلق مؤمناً بوحدانيته موقناً بها، ليس مكرها على التوجه إليها بصفته عبدا للإله الذي امتاز بهذه بالصفة، بل متوجها إليها راغبةً وحباً واعتزازاً ؛ لعلمه أن هذه الصفة التي

(١) سورة البقرة : الآية : ٢٦٠ .

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق : يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، سنة : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م: ١/ ٢١٥ .

امتاز بها ربه – ولم يتنازل عنها ولا بشيءٍ من لوازمها لغيره، باعتبارها حقا خالصا لله تعالى – تعود إليه بالفوائد والمنافع الدنيوية والآخروية على حد سواء والإنسان مجبول على حب من أحسن إليه.

لذا تجد العبد بعد هذه المعرفة يكون أكثر تحفزاً في الدافع عنها بنصب ما استطاع من الأدلة العقلية و النقلية، لإقناع من حوله من العباد بها، مبينا لهم أن الإيمان بهذه الوحدانية يعد أساس الدين، وأن في إضاعتها أو عدم الاعتراف بها أو حتى مجرد عدم معرفتها؛ تضييع للدين ولكل الفوائد والمنافع المترتبة عليها أيضا، وأن في عدم الخضوع لها خسارة الدنيا والآخرة، وتعرض لعقاب وعذاب له بداية وليس له نهاية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1] .

ولقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون مشتملا على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة فهي ما تم ذكره، وأما المبحث الأول فقد جاء بعنوان : تعريف التوحيد لغة واصطلاحا ، وفيه مطلبان : المطلب الأول : تعريف التوحيد لغة، والمطلب الثاني: تعريف التوحيد اصطلاحا، وأما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان : أدلة التوحيد النقلية والعقلية، وفيه مطلبان، المطلب الأول : أدلة التوحيد من الكتاب والسنة، والمطلب الثاني : أدلة التوحيد العقلية، وأما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان : فوائد التوحيد وأهمية معرفته، وفيه تسع مطالب، المطلب الأول : استقرار النظام الكوني، و المطلب الثاني : كشف أهل الزيف والدجل، والمطلب الثالث : التودد إلى الذات الإلهية، و المطلب الرابع : تخفيف للتكاليف، و المطلب الخامس : توفر العدالة المطلقة، و المطلب السادس : وحدة

(١) سورة النساء : الآية : ٤٨ .

الجهة الجالبة للمنافع، الدافعة للمضار، و المطلب السابع : تحقق العزة للعبد، و المطلب الثامن : التوحيد بوابة الدخول إلى الجنة والنجاة من النار، و المطلب التاسع : التوحيد بوابة قبول الأعمال، والخاتمة، والتي تضمنت أهم النتائج .

اللهم إني أستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، فإن كنت قد وفقت فبفضلك ومنتك، وإن كان غير ذلك فأرجو عفوك ومغفرتك .

المبحث الأول :
تعريف التوحيد لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة.

التوحيد هو جعل الشيء واحدا، والوحدانية هي النسبة إلى الوحدة، والتي هي مصدر للفعل وَحَدَ يقول علماء اللغة : ((وَحَدَ)) الواو والحاء والدال : أصل واحد يدل على الإنفراد ،من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثلَهُ))[1]، و((الوَحَدُ المنفرد ... الوحدة الإنفراد))[2]، و((وتَوَحَّدَ برأيه : تفرَّدَ بهِ))[3]، ((وكُلُّ شيءٍ على حِدَةٍ بائِن من آخَر))[4]، وقد دخل تحت هذا الباب كلٌّ من الواحد والأحد والمتوحد، لذا بَيَّنَ أهل اللغة الفرق بين هذه الألفاظ من جهة المعنى، حيث ورد في كتاب الفروق اللغوية قوله :((قال بعض المحققين: الواحد: المفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر،

(١) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، سنة : ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م : ٦/ ٩٠ .

(٢) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت : ٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة : ٢٠٠١م : ٥/ ١٢٤ـ١٢٥ .

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، سنة : ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م : ٢/ ٥٤٨

(٤) تهذيب اللغة : ٥/ ١٢٥ .

والأحد : الفرد الذي لا يتجزأ، ولا يقبل الانقسام. فالواحد: هو المتفرد بالذات في عدم المثل، والأحد : المتفرد بالمعنى . ..وأما المتوحد : فهو البليغ في الوحدانية، وقيل: المتوحد: المستنكف عن النظير))[1]، وقد علق الإمام الأزهري على طلب المشركين من الرسول ﷺ أن يصف ربَّه، فأنزل الله ﷻ سورة الإخلاص، يقول الأزهري: ((قلت : وليس معناه أن لله نسباً انتسب إليه، ولكن معناه نفي النسب عن الله الواحد لأنَّ الانتساب إنَّما يكون للمخلوقين، واللهُ صِفَتُهُ أَنَّه لم يلد ولداً يُنسب إليه، ولم يلدْهُ أحد فينسب إلى والِدِهِ، ولم يكن له مِثْل، ولا يكونُ فيُشَبَّهُ بِهِ، تعالى الله عن افتراء المفترين...))[2].

لطيفة: الذي يُدقق فيما ذُكر سابقاً يتضح له أَنَّ مصطلح الوحدانية لم يَرِدْ لدلالة على معانٍ كثيرة مشتركة، كمصطلح (العين) مثلاً، حيث ورد في المعاجم: ((العينُ تقع بالاشتراك على أشياء مختلفة، فمنها الباصرة، وعين الماء، وعين الشمس، والعين الجارية، والعين الطالعة، وعين الشيء نفسه))[3]، كما أَنَّهُ لم يَرِدْ للدلالة على معان متناقضة كمصطلح (القرء) مثلاً، حيث ورد في المعاجم: ((الأَقْرَاء: الحَيْض، والأَقْرَاء: الْأَطْهَار))[4]، وكأَنَّ الله تعالى بعلمه المُسبق قد حفظ هذا المصطلح من الاستعمالات الكثيرة و المتباينة ؛ كي يكون خالصاً في دلالته على أَعظم قضية تخص البشرية وأَخطرها أَلا هي قضية (توحيد الخالق)، ولكي يأَتي في استعماله اللغوي منسجماً مع استعماله الشرعي العقائدي للدلالة

(١) معجم الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق : الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، سنة : ١٤١٢هـ :٥٦٥ ـ ٥٦٦ .

(٢) تهذيب اللغة : ٥/ ١٢٨ .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.س : ٢/ ٤٤٠ .

(٤) تهذيب اللغة : ٩/ ٢٠٩ .

على تفرد الذات الله العلية، فلا يكون هناك عذرٌ لمن يحاول التلاعب بالألفاظ على اعتبار أَنَّ اللفظ جاء في استعماله اللغوي لدلالة على معان أخرى .

المطلب الثاني : التعريف التوحيد اصطلاحا

قال العلامة التفتازاني:((حَقِيقَة التَّوْحِيد اعْتِقَاد عدم الشَّرِيك فِي الألوهية وخواصها))[1]، ثم شرح المقصود بالخواص فقال:((وَلَا نزاع لأهل الْإِسْلَام فِي أَن تَدْبِير الْعَالم وَخلق الْأَجْسَام وَاسْتِحْقَاق الْعِبَادَة وَقدم مَا يقوم بِنَفسِهِ كلهَا من الْخَواص))[2]، ذهب الشيخ محمد عبده إلى أن ((أصل معنى التَّوْحِيد اعْتِقَاد أَن الله وَاحِد لَا شريك لَهُ))[3]، لذا ((فَهُوَ جلّ شَأْنه وَاحِد فِي ذَاته وَصِفَاته لَا شريك لَهُ فِي وجوده وَلَا فِي أَفعاله))[4].

وعلى ذلك كان معنى الوحدانية : ((سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سبحانه وتعالى))[5]، ((فَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي أَسْمَائِهِ ،وَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، وَلاَ ثَانِيَ لَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ، وَلاَ شَرِيكَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِ))[6].

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (ت: ٧٩٣ هـ)، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط١، سنة : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م :٢/ ٦٤.

(٢) المصدر نفسه : ٢/ ٦٤ .

(٣) رسالة التوحيد : محمد عبده بن حسن خير الله، (ت: ١٣٢٣هـ)، دار الكتاب العربي، د.ط، سنة : ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م : ٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٤ .

(٥) كبرى اليقينيات الكونية :د. محمد سعيد رمضان البوطي، دمشق، دار الفكر، ط٣٠، سنة: ٢٠٠٩م :١١١.

(٦) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : عبد الحميد بن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح، الشارقة، الإمارات العربية، ط١، سنة :

المبحث الثاني:
أدلة التوحيد

من المعلوم للجميع أن أي مسألة لا يمكن للمرء إقناع الجماهير بها إن لم تكن مستندة على أدلة صحيحة صريحة في دلالتها، وإلا كنت مجرد إدعاء لا قيمة له، إذ لا يوجد ما يثبت صحته، لذا جاءت العقيدة الإسلامية مدعومة بشتى أنواع الأدلة التي تثبت صحة مدعاه، ومن هذه العقائد الإسلامية إثبات وحدانية الله التي استندت إلى أدلة كثيرة انقسمت إلى قسمين رئيسيين من حيث المصدر هما الأدلة العقلية، والأدلة النقلية :

المطلب الأول : الأدلة النقلية .

الأدلة النقلية، أو ما يعرف بالأدلة السمعية :ــ وهي كل ما ورد عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لدلالة على قضية من القضايا التي أرادها الإسلام ،حيث ذهب العلماء إلى صحة الاستدلال بها، فتمسكوا بكل دليل جاء عن طريقهما دال على إثبات وحدانيته ﷻ، على اعتبار أن بعثة الرسل وصدقهم بدلالة المعجزات لا تتوقف على وحـدانيته ﷻ[1]، وهذا ما سوغ الاعتماد على ما جاء فيهما لإثبات وحدانيته جل جلاله، ونفي الشريك عنه [2].

١٤١٦هـ / ١٩٩٥م : ٦٤ .

(١) إن وحدانية الذات الإلهية حالها في الإثبات حال كل القضايا السمعية التي تتعلق باليوم الآخر، وكذلك حال الأوامر والنواهي الصادرة عن تلك الذات العلية، التي يمكن الاستدلال عليها بالأدلة النقلية، على العكس من موضوع وجود الذات الإلهية نفسها، وظاهرة الوحي، وبعثة الرسل، وصحة الدليل النقلي نفسه، التي لا يمكن الاستدلال عليها إلا بأدلة العقلية البحتة التي يعتمد فيها على مقدمات بديهية مسلمة أجمع على صحتها العقلاء، كامتناع اجتماع النقيضين، وأن لكل فعل فاعل، وأن الصانع هو الأحق بوضع القوانين والأنظمة لصنعته باعتباره الأعرف بها، إلى غير ذلك .

(٢) ينظر : المواقف: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق : عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط١، سنة : ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م : ٣/ ٦٤.

وقد كان تركيز العلماء على منع إمكانية تعدد الواجب دون الممكن، لأن الممكن لا يدخل في باب كونه إلها لاحتياجه في نهاية أمره إلى ما يكون سببا في وجوده، فهو لا يستحق أن يكون إلها بداهة وابتداءا، بخلاف الواجب الذي يكون وجوده ذاتيا، والذي جاءت الأدلة المتعددة المتنوعة على بطلان تعدده، لما يترتب على ذلك من مستحيلات وغيرها [1]. أولا : الأدلة من القرآن الكريم :

١. قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

٢. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3].

٣. قوله تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[4].

((والآيات القرآنية التي تدعو إلى الإيمان باله واحد ...، وحسبك أن تعلم : أنه قلما تجد سورة من سور القران إلا وفيها دعوة صريحة أو ضمنية إلى الإيمان بالإله الواحد ﷻ))[5]

ثانيا : الأدلة من السنة النبوية المطهرة : ــ

١. عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: أَمْلَى عَلَيَّ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ

(١) ينظر : شرح المقاصد في علم الكلام :٢/ ٦١ .
(٢) سورة الإخلاص .
(٣) سورة آل عمران : الآية : ٦٤ .
(٤) سورة النحل : الآية : ٥١ .
(٥) العقيدة الإسلامية (أركانها ـ حقائقها ـ مفسداتها) : د. مصطفى سعيد الخن، د. محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، ط٦، سنة :١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م : ١٦٨ .

مَكْتُوبَةٍ: {{لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ}}[1] .

٢. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {{ بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ}}[2]

٣. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: فَإِنَّ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَخْبَرَنِي عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهِلُّ مُلَبِّدًا، يَقُولُ: {{لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ» لَا يَزِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ }}[3] .

وعلى هذا يتضح التضافر بين الأدلة من القرآن والسنة على التوحيد وأنه أس الدين الذي لا يصح من دونه .

المطلب الثاني : الأدلة العقلية .

الأدلة العقلية :ـ وهي ما كان الاعتماد فيها على مقدمات مسلمة يقينية تنتج اليقين ،لذا لا يصح الاعتراض عليها بوجه من الوجوه، إذ ما كانت مقدماته مستعملة بأسلوب

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ،المعروف بـ(صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ، رقم الحديث : ٨٤٤ :١/ ١٦٨ .

(٢) صحيح البخاري : رقم الحديث : ٨ : ١/ ١١ .

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،المعروف بـ(صحيح مسلم) : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.س : رقم الحديث : ١١٨٤ : ٢/ ٨٤٢ .

صحيح وفق قواعد وأصول علم المنطق .

الدليل الأول : (برهان التوارد و التمانع) :-

وقد شرح هذا البرهان والدليل الكثير من العلماء باعتباره أهم دليل على وحدانية الله ﷻ، وقد اقتصر بعضهم على بعضه[1]، وأوره هنا كاملا مفصلا لتتم الفائدة وكالآتي:

أنه لو لم يكن هناك إلها واحدا لكان متعددا، ولو كان متعددا لوجب إما أن يتفقا، وإما أن يختلفا :

١ . فإن اتفقا على إيجاد العالم مثلاً :

أ- فإمَّا أَنْ يُوجِداه معاً، وعندئذٍ يلزم اجتماع مؤثرين تامَّين على أثرٍ واحدٍ، وهو باطل بداهة، لأَنَّ اشتراكهما في إيجاده دليل على عدم إمكان قيام أحدهما بإيجاده مستقلا فهما عاجزان، ولا يَصلُحُ أَنْ يكون العاجز إلهاً .

ب- وإمَّا أَنْ يُوجِداه مرتبين ـ بأَنْ يُوجده أَحدُهما ثم يُوجِده الآخر، وعندئذٍ يلزمُ تحصيل الحاصل، وهو باطل بالبداهة، لأَنَّ الثاني لَنْ يستطيعَ القيام بإيجَادِ أَصلاً لأَنَّه موجود ،كَمَنْ يريد إماتت المَيْت أو إحياءِ الحيِّ !

ج- وإمَّا أَنْ يُوجِد بعضَه أَحدُهما، والآخرُ البعضَ الآخر، وعندئذٍ يلزمُ عجزهما معاً، لأَنَّه لَمَّا تعلقت قدرة أَحدِهما بالبعض سَدَّ على الآخر طريق تعلق قدرته فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز ظاهر، وهذا الفرض يصلح أَنْ يُتَصَوَّرُ على كُلِّ واحد منهما، فيلزم من ذلك كونهما عاجزين .

---

(١) ينظر: التمهيد لقواعد التوحيد : الإمام أبي معين النسفي، تحقيق: جيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية، مصر، ط١، سنة : ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م : ١٢٩ وما بعدها، وينظر: أصول الدين: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، (المتوفى: ٥٩٣هـ)، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، سنة : ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م : ٦٤ .

د- وإِمَّا أَنْ يُوجِده أَحدُهما دون الآخر، وعندئذٍ كان المُوجِد هو الإله، والثاني باطل، لكونه عاجزا، والعاجز لايستحق أَنْ يكون إلهاً [1]، وكُلُّ هذه الأَوجهِ باطلة، فما أَدَّتْ إليه يكون باطلاً، وهو وجود إلهين متفقين، ويسمى هذا البرهان بـ(برهان التوارد)؛ لما فيه من تواردهما على شيء واحد .

٢. وإن اختلفا، بأَنْ أَراد أَحدهما إيجاد العالم، و أَراد الآخر إعدامه :

أ- فإِمَّا أَنْ يَنْفُذَ مردُهما معا، وعندئذٍ يلزم اجتماع النقيضين، وهو باطل بالبداهة، لأنه يلزم مِنْه وجود العالم وانعدامه في آنٍ واحدةٍ، وهذا مالا يمكن تصوَّره أبدا لاستحالته .

ب- وإِمَّا أَنْ يَنْفُذْ مراد أَحدهما دون الآخر، وعندئذٍ يلزم عجز مَنْ لم يَنْفُذْ مراده والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينهما .

ج- وإِنْ لم يَنْفُذْ مراد أحدهما، لزم عجز كُلٍّ منهما، لما يلزم منه ارتفاع النقيضين، وهو انعدام العالم وعدم انعدامه في آنٍ واحدةٍ، وهذا مالا يمكن تصوَّره أبدا لاستحالته فبطل ما أَدَّى إلى ذلك، وهو وجود إلهين مختلفين، ويسمى هذا البرهان بـ(برهان التمانع) لتمانعهما وتخالفهما[2].

الدليل الثاني: ((دليل الاستغناء: لنفرض جدلا، أن هناك عددا من الآلهة، وليكونا اثنين أحدهما (أ) والآخر (ب)، فنقول:

١. إِمَّا أَنْ يكون الإله (أ) محتاجا إلى الإله (ب) لعجزه .

٢. وإِما أَنَّ يكون الإله (أ) غير محتاجا إلى الإله (ب) .

---

(١) ينظر:التمهيد لقواعد التوحيد:١٣١.

(٢) ينظر:شرح النسفية في العقيدة الإسلامية : د.عبدالملك عبدالرحمن السعدي، الرمادي، العراق، ط١، سنة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م:٥٢، وينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، د.قحطان عبدالرحمن الدوري، ناشرون، لبنان، د.ط، سنة: ٢٠١١م: ٣٦٧، وغيرهما.

فإذا كان الإله (أ) محتاجا إلى الإله (ب)،لم يكن الإله (أ) إلها لعجزه، والله لا يتصف بالعجز، لأنها صفة نقص، والله لا يتصف بالنقص بل يتصف بالكمال .

وإذا كان الإله (أ) غير محتاجا للإله (ب)، ويقوم بتدبير الكون وحده، يكون الإله (ب)

ليس له عمل، وما هذا الإله الذي لا عمل له[1]؟ فثبت بذلك وحدانية الله تعالى))[2].

الدليل الثالث : وحدة النظام الكوني :ــ

مما يمكن الاستدلال به أيضا على وحدانية الله ﷻ هو وحدة ودقة وانسجام النظام الكوني مع عظمه واتساعه المذهل، حيث أن ((ثبات الكون واســـــتقراره على نظام محكم دون أن يتسرب إليه فساد مما يشهد أنه يسير تحت إرادة واحدة، كما يشهد ترابط الكون وتناسقه أنه تحت يد مالك واحد، وعدم وجود صراع بين أجزاء الكون يشهد أنه لا يوجد آلهة أخرى غير الله تتصارع على السيادة في الكون))[3] .

ولقد استدل العلماء على وحدانية الخالق العظيم بالتعاون الحاصل بين أجزاء هذا الكون المذهل، وكذلك بإدارة الحياة على الأرض وتدبير شؤونها ـ وما يجري عليها من أحداث وتقلبات خلال الفصول، واستدلوا كذلك بصفات الإنسان وتراسيم ووجه،

---

(١) أرى أَنْ هذا الدليل في أصله صحيح ـ وهو الاستغناء، ولكن التعليل الأخير فيه نظر؛ إذ أن عدم وجود عمل لشيء لا يدل على عدم وجوده، ولكن يمكن التعليل بأنَّ من لا عمل له لا دليل على وجوده، ومن لا دليل عليه لا يصح إثباته عقلا، وبما أن الأصل في العدد هو الواحد، والعالم دال عليه، فما زاد على ذلك فلابد من دليل على إثباته، ولا دليل يثبت الزيادات فوق الواحد، وبذلك ثبتت الوحدانية .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد : حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الغزالي، ت(٥٠٥) هـ، شرح وتحقيق:د. إنصاف رمضان، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط١، سنة:١٤١٣هـ/ ٢٠٠٣م :٦٤.

(٣) توحيد الخالق : عبدالمجيد عزيز الزنداني، دار السلام، القاهرة، مصر، ط٦، سنة : ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م : ٦٨ .

وما فيه من مميزات ما بين فرد وآخر، وهلم جرا، ففي كل ذلك دلائل واضحة على الوحدانية[1].

المبحث الثالث :
فوائد الوحدانية و أهمية معرفتها

إن المتأمل في موضوع وحدانية الخالق ﷻ الناظر إليه من زوايا متعددة يخرج بجملة من الفوائد التي تعود إلى العباد أنفسهم وهي ثابتة لهم من دون التوقف على نظرهم أو حتى إيمانهم بوحدانيته ﷻ، إلا أن هناك فوائد تتعلق بإقرار العبد وإيمانه بهذه الوحدانية، فلا يدركها إلا من يؤمن إيمانا جازما بوحدانيته ﷻ، ويتعرف عليها من خلال تأمله، ولعل ما سأذكره هنا هو بعض تلك الفوائد :

المطلب الأول: استقرار النظام الكوني .

في الوحدانية انضباط أمر الكون واستقرار الحياة بشكل عام والبشرية بشكل خاص ؛ إذ لولا ثبوت الوحدانية للذات الإلهية لكانت هناك فوضى عارمة تسود الحياة واختلال كبير يعم النظام الكوني بأسره، وقد يودي به إلى الانعدام بل إلى عدم الوجود أصلا، حيث وجود صراع الإرادات، التي لا يمكن أن تخضع بعضها لبعض لكونها إرادات كاملة فاعلة، على افتراض أنها إرادات لآلهة .

قال تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[2]، وقال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

(١) ينظر : حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقية : بديع الزمان سعيد النورسي، (ت: ١٣٧٩هـ)، دار سوزلر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٨٨م : ٩٩ وما بعدها .

(٢) سورة الإسراء : الآية : ٤٢ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية :٢٢ .

المطلب الثاني : كشف أهل الزيف والدجل .

في الإيمان بالوحدانية كشف بل فضح للجهات والشخصيات التي تَدَّعِي أو يُدَّعَى بأن بيدها التأثير في جلب المصالح أو دفع المضار، كالعرافين والكهنة والمنجمين والدجالين وهلم جرا، كل ذلك من أجل الحصول على مكاسب لها أو لمن جعل لها هذه المكانة، حيث يقوم هؤلاء بلعب دور الوسيط بين الناس وبين هذه الجهات أو الشخصيات فينالون الهدايا والأُعطيات من قبل الناس السذج المخدوعين ــ مادية كانت تلك المكاسب أو معنوية، كالحصول على المنزلة المرموقة والمتقدمة بين الناس بفعل ما بيدها من تأثير مزعوم .

وفي محاججة سيدنا إبراهيم عليه السلام أكبر عملية فضح لهذه الجهات التي ادُّعِي لها أعلى المناصب وهو منصب الربوبية والإلهية: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1].

ففي هذه المحاججة دعوة للناس من أجل إعمال عقولهم في التفكير والنظر قبل التصديق بالدعوات أَيًّا كانت تلك الدعوات ومن أَيِّ مصدر ظهرت، فليس كل من يدعي شيئاً يكون صادقا أو يمتلك الدليل على صحة مُدَّعَاهُ !

كما أن فيها إفحام لمن عبد غير الله عز وجل عن جهل متأثرا بما ورثه من الآباء والأجداد، فقد أفحم سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه بطرح سؤال يحمل في طياته الإنكار لما يقومون به من عبادة من لا يمتلك جلب المنافع أو دفع المضار، وقد أدرك قومه ذلك بمجرد طرحه لهذا التساؤل، فأجابوا بقولهم : ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[2]، للتخلص من الإحراج الذي

(١) سورة الشعراء : الآيات : ٦٩ ـ ٧٤ .

(٢) سورة الشعراء : الآية :٧٤ .

أوقهم فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام، فهم يعلمون أن ما قالوه لا يعد جوابا أصلا .

المطلب الثالث : التودد إلى الذات الإلهية .

في الإيمان بالوحدانية وضوح للطريق أمام العبد من أجل التودد والتقرب إلى تلك الجهة الواحدة الفاعلة، وبذل كل ما يملك من جهد للوصول إلى إرضائها، مما يجعل فعل العبد واضحا ومثمرا، إن كان مخلصا لتلك الجهة وكان عمله صحيحا وفق قوانينها وأنظمتها .

ويمكن الاستدلال على حصول هذه المنفعة للعبد المتوجه إلى الذات الآلهية بما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[1].

وأما الوقوع في محاولة التودد والتقرب لجهات متعددة، وعلى الغالب تكون متناقضة، ففيه جري خلف سراب لا يمكن إدراكه، وقد جاء لبيان هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2][3].

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، سنة ١٤٢٢هـ : ٨/ ١٠٥، رقم الحديث (٦٥٠٢) .

(٢) سورة الزمر: الآية : ٢٩ .

(٣) قال صاحب الظلال في تفسير هذه الآية : ((يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد

وعند عدم معرفة العبد للوحدانية الإلهية أو إنكاره لها، سيحاول التودد والتقرب من ليس مطلوبا منه التقرب إليه ؛ إذ ليس هو المنعم المتفضل، بل سوف تلحق به غاية المضرة والخسران، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

المطلب الرابع : تخفيف للتكاليف .

في الإيمان بالوحدانية قلة التكاليف عن العبد ، قال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، فالاعتقاد بوجود آلهة متكثرة متعددة يودي بالعبد إلى الانصياع لأوامرها ونواهيها ضرورة كون الآلهة آمرة ناهية واجبة الطاعة والعبودية، وبهذا تكثر على العبد التكاليف التي توقعه في العنت والتعب الظاهر للعيان[3]، بل قد تصل به إلى الوقوع

يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضا فيه، وهو بينهم موزع ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه! وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح..

«هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟» ،إنهما لا يستويان. فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين. وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه، ووضوح الطريق. والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضي واحدا منهم فضلا على أن يرضي الجميع! وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال. فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى، لأن بصره أبدا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق)) . : في ظلال القرآن :سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، المتوفى: ١٣٨٥هـ، دار الشروق ،بيروت ،القاهرة، ط٧، سنة : ١٤١٢ هـ :٥/ ٣٠٤٩ .

(١) سورة الزمر : الآية : ٦٥ .

(٢) سورة يوسف : الآية : ٣٩ .

(٣) أصول العقيدة الاسلامية، دروس وتمارين : د. زكريا عبدالرزاق المصري ،مؤسسة الرسالة،

في المستحيل إذا ما جاءت أوامر هذه الآلهة ونواهيها متعارضة متناقضة - فهذا يقول (إفعل) وذاك يقول (لا تفعل)، وهذا يريد القيام، وذاك يريد الجلوس وهلم جرا - وترك تطبيق بعضها يوقع في غضب البعض، وترك كلها يوقع في النقمة من الجميع لا محالة .

وقد أراحنا الله ﷻ من هذا العنت وأورثنا الاطمئنان ، حيث قصر وجوب اتباع الأوامر والنواهي ما جاء عن طريقه فقط لا غير حيث أنه الخالق الآمر قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، مع التشديد في النهي عن اتباع غير أوامره ونواهيه، بل جعل ذلك غاية الخسران، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وهذا القصر و النهي في الحقيقة رحمة للعبد، حيث لا ينبغي له أن يتعب نفسه ويجبرها على اتباع أوامر ونواهي غير الذات الإلهية وبذلك تَقُلُّ التكاليف عليه .

المطلب الخامس : توفر العدالة المطلقة .

في الإيمان بالوحدانية يضمن العبد تحقق العدالة المطلقة - إذ أن من يحاسب العباد ويجازيهم على أعمالهم ، جهة واحدة لها معايير معروفة لدى الجميع - حيث لا يمكن أن يتقدم على العبد من تقرب إلى جهات أخرى لها معايير غير ما لهذه الجهة التي ثبتت وحدانيتها في ذاتها وصفاتها وأفعالها وهي الذات الإلهية العلية .

فمن هذه المعايير التي يعامل على أساسها العبد أنه يثاب على ما حسنه الشرع، وأنه يعاقب إذا ما أنتهك ما قبحه الشرع، وأنه يحاسب على فعله فقط، لا على فعل الآخرين

بيروت، لبنان، ط١، سنة : ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م : ٢٣ .

(١) سورة الأعراف: الآية : ٥٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية : ٨٥ .

إلا أن يكون سببا فيما فعلوا، وأن باب التوبة مفتوح أمامه مالم يغرغر[1]، إلى غير ذلك من الموازين التي وضعها الشارع الحكيم في التعامل مع العباد، والتي يعمل على أساسها العبد وهو مطمئن مرتاح البال، مطمئن للنتيجة التي سيلقها في آخرته من غير قلق أو اضطراب، حيث يقول الله تعالى على لسان المؤمن يوم القيامة عند استلامه لنتيجته: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[2].

ولا عبرة بما جاء عن طريق الجهات الأخرى مخالفا لما تقدم من موازين أو تعاليم، قال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4].

لذا فالعبد يعمل وفق معايير واضحة ثابتة، غير قابلة للتغيير أو التبديل، كما لا يوجد ما يعارضها أو يناقضها أو يزيد عليها في الشروط أو الواجبات من قبل جهات أخرى لها القدرة على التأثير أو القبول والرفض، مما يجعل عمل العبد تحت رحمتهم وعدالتهم - إن كانوا عدولا-، فيعيش العبد في قلق واضطراب عظيمين ، إذ أنه غير متيقن من صحة

(١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)) . رواه الترمذي، وقال عنه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ)). سنن الترمذي : أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م : رقم الحديث : ٣٥٣٧، ٥/ ٥٤٧ .

(٢) سورة الحاقة : الآيتان : ١٩ ـ ٢٠ .

(٣) سورة الحج : الآية : ٥٦ .

(٤) سورة الحج : الآية : ١٧ .

عمله أو قبوله من قبل هذه الجهات، وهو ما أراحنا الله ﷻ بإثباته لوحدانيته .

المطلب السادس : وحدة الجهة الجالبة للمنافع، الدافعة للمضار .

في الإيمان بالوحدانية وضوح الرؤيا عند العبد عن الجهة المنعمة المتفردة في جلب المنافع ودفع المضار، وهو ما سعت إليه الآيات الكريمات في إبرازه للعباد، حيث أوضحت أن الذي يجلب المنافع هو الله ﷻ، من ذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١)، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢)، وأن الذي يدفع المضار هو الله ﷻ، قال تعالى : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾(٣)،كل ذلك يحقق عند العبد الطمأنينة والاستقرار النفسي في التوجه إليه ﷻ من دون الوقوع في الحيرة أو الاضطراب مبتهلا إليه ﷻ قائلا في مناجاته: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٤)، وقد ختم الله ﷻ ذلك كله ببيان أنه الوحيد القادر على جلب المنافع ودفع المضار، فقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ

(١) سورة لقمان : الآية : ٢٠ .
(٢) سورة الحج : الآية : ٦٥ .
(٣) سورة النمل : الآية : ٦٢ .
(٤) سورة آل عمران : الآيتان : ٢٦ـ٢٧ .

مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]، لذا نجد سيدنا إبراهيم عليه السلام يواجه من كفر من قومه وهو ثابت القلب، موقن بوحدانية ربه في جلبه للمنافع ودفعه للمضار ،محاججا إياهم بالحجة والبرهان قائلا لهم : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

المطلب السابع : تحقق العزة للعبد .

في الإيمان بالوحدانية عزة للعبد وحفظ لكرامته من إذلالها لغير الله عز وجل، وهذا ما يوضحه الشيخ عبدالرحمن حبنكة حيث يقول :((إن عقيدة التوحيد تجعل الإنسان عبدا لإله واحد فقط، وأما عقيدة الشرك بالله فتجعله عبدا لآلهة متعددة متشاكسة، وأيهما أكرم للإنسان : أن يكون عبدا لواحد فقط أو عبدا لمتعددين ؟

إذا قسنا هذا بالأمثلة الإنسانية، وجدنا أن العبد الرقيق من الناس يفضل أن يكون مِلْكاً لرجل واحد لا مِلْكَاً لرجال متعددين متشاكسين لا يتفقون، لأن عبوديته للواحد أحب لنفسه وأكرم لها، فكيف يختار هؤلاء لأنفسهم عقيدة الشرك، مع أن عقيدة التوحيد هي الأَكْرمُ لهم، وهي العقيدة الحقة التي تدعمها الأدلة البرهانية))[3].

المطلب الثامن: التوحيد بوابة الدخول إلى الجنة والنجاة من النار .

في الإيمان بالوحدانية ضمان دخول الجنة، إذ من دون التوحيد لن تكون هناك جنـــة،

(١) سورة فاطر : الآية : ٢ .

(٢) سورة الأنعام : الآيتان : ٨٠ـ٨١ .

(٣) العقيدة الإسلامية و أسسها : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني : دار القلم، دمشق، ط١١، سنة : ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م : ١٥٨ .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2]، بل في انعدام التوحيد سبب رئيسي ومباشر في دخول نار جهنم، قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[3]، بل سبب رئيسي في الديمومة الأبدية للخلود فيها، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[4].

أما ما كان من بقية المعاصي والآثام فلن تكون سببا مانعا من دخول الجنة سواء كانت كبائر أم صغائر، لأن مرتكبها إما أنه قد تاب عنها قبل الموت توبة نصوحة فتكون مغفورة بإذن الله تعالى، لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[5]، وإما أن صاحبها لم يتب ومات وهو مصرٌ على ذلك، فيكون بفعله هذا تحت المشيئة الإلهية التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، إن شاء الله تعالى غفر له وأدخله الجنة، أو عذبه على ذنبه ثم أدخله الجنة، إذ أن الجنة لم تحرم إلا على من أشرك وكفر، أو استحل

(١) سورة النساء : الآية : ٤٨ .
(٢) سورة النساء : الآية : ١١٦ .
(٣) سورة الإسراء : الآية : ٣٩ .
(٤) سورة المائدة : الآية : ٧٢ .
(٥) سورة الفرقان : الآيات : ٦٨ ـ ٧٠ .

حراما ومات على ذلك، إذ استحلال الحرام بريد الكفر والعياذ بالله .

أما ما جاء في شأن القاتل من قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، فقد ذهب العلماء إلى أن أبواب التوبة مفتوحة أمامه، كيف لا وقد فتحها الله أمام من فعل أعظم من ذلك، وهو الكفر الصريح بالله تعالى (والعياذ بالله)، حيث ذكر بن كثير قوله : ((وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا: أَنَّ الْقَاتِلَ لَهُ تَوْبَةٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ تَابَ وَأَنَابَ وَخَشَعَ وَخَضَعَ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، وَعَوَّضَ الْمَقْتُولَ مِنْ ظُلَامَتِهِ وَأَرْضَاهُ عَنْ طِلَابَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْفُرْقَانِ: ٦٨، ٦٩]، وَهَذَا خَبَرٌ لَا يَجُوزُ نُسْخُهُ))[2]، ويؤيد ما ذهب إليه الجمهور، حديث رسول الله ﷺ، حيث قال:((كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَه رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا

(١) سورة النساء : الآية : ٩٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، سنة : ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م :٢/ ٣٨٠ .

بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ))[1]

وأما ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[2]، فهي إما مقيدة بمن استحل قتل المؤمن لإيمانه، ومات على ذلك، ففي ذلك استحلال للحرام وهو كفر بالله تعالى فلا مغفرة له، وإما أن الخلود الذي ذكر في الآية الكريمة المراد منه الزمن الطويل وليس المراد منه المكث على وجه التأبيد ، يقول البيضاوي عند تفسيره الآية الآنفة الذكر: ((قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:(لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمداً)، ولعله أراد به التشديد إذ روي عنه خلافه، والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ﴾ ونحوه، وهو عندنا إمَّا مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره، ويؤيده أنه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار ولم يظهر قاتله، فأمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتداً، أو المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم))[3].

وعلى ما تقدم تكون نهاية الرحلة لكل موحد لا محالة إلى الجنة ولو بعد الحساب والعقاب، وفي ذلك تتجلى رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ حتى بالعصاة من الموحدين إذ لم يختم عليهم بالأبدية والديمومة المطلقة في الجحيم .

---

(١) صحيح البخاري : رقم الحديث : (٣٤٧٠) : ٤/ ١٧٤ .

(٢) سورة النساء : الآية : ٩٣ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (ت : ٦٨٥هـ)، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة : ١٤١٨ هـ :٢/ ٩٠

المطلب التاسع : التوحيد بوابة قبول الأعمال .

من المؤكد أن أي فرد منا لا يقوم بالأعمال إلا وهو يرجو من ورائها ما يرجو من جلب المنافع أو دفع المضار ، ولكن يجب أن يكون ما يقوم به موافق للشروط والأركان التي تفرضها الجهة التي يرجو منها القبول - إذ ليس كل عمل مقبول، فإن كان ما قام به الفرد غير موافق لتلك الشروط والأركان أو فيه خلل ما ؛ فإن أحدنا لا يتوقع أن يكون عمله مثمرا ذو فائدة مرجوة، وقد يخشى رده بالكلية، فتتحطم بذلك الآمال .

وإذا كان علماء الأمة قد اختلفوا في شيء من شروط الأعمال أو أركانها بسبب اختلاف الأدلة ووصولها إليهم والاستنباط منها، فإنهم قد أجمعوا على أن أي عمل لن يقبل بحال من الأحوال إن لم يكن خالصا نقيا لله ﷻ، ليس لغيره فيه حظ أو نصيب، وذلك لقوله تعالى : ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1]، أي: ((إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح، وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما، أو صعود الكتبة بصحيفتهما، والمستكن في يَرْفَعُهُ لِ الْكَلِمُ فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد))[2]، وقال الإمام النسفي: ((والعمل الصالح العبادة الخالصة يعني والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد))[3]، ومن هنا يتضح أن شرط قبول الأعمال وركنها الركين وجود التوحيد، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[4]، جاء في أضواء البيان قوله : ((أَيْ عَمِلَ لَهَا

(١) سورة فاطر : جزء من الآية : ٣٥ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٤/ ٢٥٥ .
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : ٣/ ٧٩ .
(٤) سورة الإسراء : الآية : ١٩ .

عَمَلَهَا الَّذِي تَنَالُ بِهِ، وَهُوَ امْتِثَالُ أَمْرِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ بِإِخْلَاصٍ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ، (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) أَيْ مُوَحِّدٌ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، غَيْرُ مُشْرِكٍ بِهِ وَلَا كَافِرٍ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَشْكُرُ سَعْيَهُ، بِأَنْ يُثِيبَهُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ عَنْ عَمَلِهِ الْقَلِيلِ))[1].

وعلى ما تقدم يظهر لنا الَّا قيمة لأي عمل إن لم يدخل من بوابة التوحيد، فقد يقوم العبد بأعمال كالجبال وفيها من الفوائد والمنافع ما لا يعلم به إلا الله ﷻ تفوق حد الخيال، إلا أن صاحبها لن يجد لها أي قيمة أو منفعة ترجى من ورائها - وعلى وجه الخصوص يوم العرض الأكبر - لكونه توجه بها لغير الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[2]، قال الإمام القرطبي : ((أَيْ لا ينفع بِهِ، أَيْ أَبْطَلْنَاهُ بِالْكُفْرِ))[3]، بل إن هذه الأعمال غير الخالصة ستكون من أقوى الأسباب في هلاك العبد نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4]، قال الإمام الطبري: ((بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك، ومعنى قوله: (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا))[5].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، سنة : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م : ٣/ ٨١ .

(٢) سورة الفرقان : الآية : ٢٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، سنة : ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م : ١٣/ ٢٢ .

(٤) سورة الزمر : الآية : ٦٥ .

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر

والسبب في كل ما تقدم، من عدم قبول العمل إلى إلغاءه وإحباط وإلى هلاك العبد نفسه بإشراكه، هو غنى الذات الإلهية التي لا تقبل إلا ما خلص من الأعمال وكان صاحبه متوجها للذات الإلهية فقط دون غيرها، فقد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[1] .

النتائج :

١. تنوعت الأدلة في إثبات الوحدانية فجاءت عقلية ونقلية متكثرة، يستطيع كل فرد أن يفهم منها ما يناسبه مهما كان بسيطاً سطحي التفكير .

٢. جاء التعريف اللغوي للوحدانية مبنيا على معنى التفرد والتباين فقط، ولم يستعمل في غير ذلك كما هو الحال مع الكثير من المفردات والمصطلحات، وبهذا إغلاق للباب أمام من يحاول التلاعب بالمصطلحات على اعتبار أنها لغويا جاءت للدلالة على معان أخرى .

٣. يستطيع المتأمل في مواضيع العقائد الاسلامية وغيرها أن يخرج بجملة من الفوائد التي تعود إليه وإلى المحيط الذي يعيش فيه بمجرد ما أن يلفت فكره إليها، فيستنبط منها الحكم والفوائد التي لم تصرح بها العقيدة الاسلامية، فيعشق بذلك مبادئها لما يرى فيها من روعة وإبداع يتماشيان مع مصالحه الشخصية .

٤. إن بعض المنافع والفوائد المستنبطة من هذا الموضوع قد تتحقق لجميع العباد مؤمنهم ومشركهم وحتى ملحدهم على حد سواء ؛ إذ أن وجودها لا يتوقف على إيمانهم بوحدانيته (جل جلاله)، فهي متحققة بحد ذاتها ، ولكن الجانب الأكبر منها لا يتحقق

الطبري، (ت : ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر : مؤسسة الرسالة، ط١، سنة : ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م : ٢١/ ٣٢٣ .

(١) صحيح مسلم : رقم الحديث (٢٩٨٥)، ٤/٢٢٨٩ .

إلا لمن آمن إيمانا جازما بوحدانية الواحد الأحد (جل جلاله) .

٥. إذا ما اقتنع الفرد بوحدانية الخالق وآمن بها ؛ فإنه بذلك يكون قد أعتق نفسه من أن يكون ألعوبة بيد الدجالين والمشعوذين الذين يدعون قدرتهم على جلب المنافع ودفع المضار عمن يشاءون دفعها عنهم، وبذلك يعيش حياة متزنة من دون الانسياق وراء الأكاذيب التي تتعبه روحيا وبدنيا وماليا أيضا .

المصادر

١. أصول الدين:جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، (ت: ٥٩٣هـ)، تحقيق: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، سنة : ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٢. أصول العقيدة الاسلامية، دروس وتمارين : د. زكريا عبدالرزاق المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، سنة : ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، سنة : ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م .

٤. الاقتصاد في الاعتقاد : حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الغزالي، (ت:٥٠٥هـ) شرح وتحقيق:د. إنصاف رمضان، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط١، سنة:١٤١٣هـ/ ٢٠٠٣م .

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة : ١٤١٨ هـ .

٦. تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، سنة : ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م .

٧. التمهيد لقواعد التوحيد : الإمام أبي معين النسفي، تحقيق : جيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية، مصر، ط١، سنة:١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٨. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت : ٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة : ٢٠٠١م .

٩. توحيد الخالق : عبدالمجيد عزيز الزنداني، دار السلام، القاهرة، مصر، ط٦، سنة : ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر : مؤسسة الرسالة، ط١، سنة : ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م .

١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه ،المعروف بـ(صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١،سنة : ١٤٢٢هـ .

١٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، سنة : ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م .

١٣. حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقية : بديع الزمان سعيد النورسي، (ت: ١٣٧٩هـ)، دار سوزلر للطباعة والنشر، ط٢، هـ/ ١٩٨٨م .

١٤. رسالة التوحيد : محمد عبده بن حسن خير الله، (ت: ١٣٢٣هـ)، دار الكتاب العربي ،د.ط، سنة : ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م .

١٥. سنن الترمذي : أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، سنة : ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م .

١٦. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، (ت: ٧٩٣ هـ)، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط١، سنة : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٧. شرح النسفية في العقيدة الإسلامية : د.عبدالملك عبدالرحمن السعدي، الرمادي، العراق، ط١، سنة: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، سنة : ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م .

١٩. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : عبد الحميد بن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح، الشارقة، الإمارات العربية، ط١، سنة : ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٠. العقيدة الإسلامية (أركانها ـ حقائقها ـ مفسداتها) : د. مصطفى سعيد الخن، د. محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دمشق، ط٦، سنة :١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

٢١. العقيدة الإسلامية و أسسها : عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، (ت:٢٠٠٤م)، دار القلم، دمشق، ط١١، سنة : ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٢٢. العقيدة الإسلامية ومذاهبها، د.قحطان عبدالرحمن الدوري، ناشرون، لبنان، د.ط، سنة : ٢٠١١م .

٢٣. في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٧، سنة : ١٤١٢ هـ .

٢٤. كبرى اليقينيات الكونية :د. محمد سعيد رمضان البوطي، دمشق، دار الفكر، ط٣٠، سنة: ٢٠٠٩م .

٢٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق : يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، سنة : ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م .

٢٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المعروف بـ(صحيح مسلم) : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.س .

٢٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.س .

٢٨. معجم الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق : الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، سنة : ١٤١٢هـ .

٢٩. معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين،

(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ،د.ط، سنة : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٣٠. المواقف: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، (ت: ٧٥٦هـ) ،تحقيق : عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط١، سنة : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .